مفهوم "الإنسان الكامل" عند اليونان تطبيقاً على الإسكندر الأكبر في الفكر والفن

د. زينب أحمد السقيلى

المعهد العالى للسياحة والفنادق والحاسب الآلى- السيوف - الإسكندرية

الملخص:.

شغل مفهوم الإنسان الكامل أذهان المفكرين والفلاسفة عبر مختلف العصور، و وقد حاول الكثيرون منهم البحث في سمات هذا الإنسان وقدم بعضهم نظريات حول مفهوم الإنسان الكامل، كما كان هذا المفهوم من الموضوعات الجاذبة في الفن عبر العصور، حيث حرص الفنانون على تصوير ذلك النموذج من البشر في أعمالهم الفنية. وقد شهد الفكر اليوناني القديم محاولات بارزة في ذلك الأمر نظراً لأن مفهوم شبيه الإله أو البطل أو الإنسان الكامل إرتبط ارتباطاً وثيقاً بحضارة هذا المجتمع وتصوراته الدينية والفكرية وكذلك نظرياته في الفن. ومما يضفي أهمية قصوى على ذلك المفهوم هو محاولة الربط بين التصور النظري لمفهوم الإنسان الكامل والربط بين بعض الشخصيات التاريخية الحقيقية وتصويرها في الفن وهذا هو الهدف من الدراسة. حيث تهدف هذه الدراسة إلى البحث فيما إذا كان الإسكندر الأكبر نموذجاً واقعياً وتاريخياً للإنسان الكامل أم لا؟. وسوف تبدأ هذه الدراسة بإستعراض موقف المفكرين القدامي وخاصة المفكرين اليونانيين فيما يتعلق بمفهوم الإنسان الكامل لديهم وخاصة أفلاطون وأرسطو وذلك للتأثير المباشر لهؤلاء المفكرين على شخصية الإسكندر الأكبر الذي تشبع بالثقافة والحضارة اليونانية وتتلمذ على يد أحد أبرز مفكريها وفلاسفتها وهو أرسطو، وهو ما يجعل من شخصية 'الإسكندر الأكبر' خير مثال على ذلك. فهو القائد الشاب الطموح الذي جال الأرض من مشرقها إلى مغربها ليؤسس إمبراطورية مترامية الأطراف ينضم جميع أفرادها ومواطنوها تحت لواء وراية موحدة لا يختلف فيها جنس أو عرق أو دين أو لغة.

الكلمات الدالة : الإسكندر الأكبر، الإنسان الكامل، الفكر، الفن.

مقدمة :.

اهتم المفكرون والفلاسفة عبر العصور بالبحث في مفهوم الإنسان الكامل وماهي السمات التي يتحلى بها هذا الإنسان، وكذلك الحال بالنسبة للفنانين حيث شغلهم تصوير هذا المفهوم في الفن. وقد حاول الكثيرون منهم أن يقدم تصوراً أو يضع نظرية أو يقدم عملاً فنياً يجسد هذا المفهوم.

وهو ما أثار العديد من التساؤلات، هل بالفعل يوجد إنسان كامل؟ وما هي مواصفات ذلك الإنسان الكامل؟ هل يتمتع الإنسان الكامل بسمات شخصية أو جسمانية تميزه عن دونه من البشر؟ هل يمكننا القول بأن الأنبياء والرسل والصالحين والأبطال من البشر هم نماذج للإنسان الكامل؟ كلها تساؤلات قد تتبادر إلى الذهن عند الحديث عن الإنسان الكامل. إن الفصل في هذه المسألة يتطلب بلا شك إستعراض محاولات السابقين في البحث عن مفهوم الإنسان الكامل، وإستخلاص مجمل نظرياتهم في ذلك الصدد، حيث يلقي البحث الضوء على موقف المفكرين اليونانيين فيما يتعلق بمفهوم الإنسان الكامل، ومما لاشك فيه أن هناك تأثير مباشر لهؤلاء المفكرين وللثقافة اليونانية مجتمعة على شخصية الإسكندر الأكبر الذي تشبع بالثقافة والحضارة اليونانية وتتلمذ على يد أحد أبرز مفكريها وفلاسفتها وهو أرسطو، كما تناول البحث تصوير الإسكندر الأكبر وذلك من أجل تتبع واستكمال تطبيق هذا المفهوم من الناحية النظرية وكذلك تطبيق هذا المفهوم في الفن. أما عن أهمية البحث في إظهار وتوضيح هوية الإنسان الكامل فيتلخص في معنى 'القيمة' و'الأثر' وهو ما يحتاجه عصرنا الحاضر للإعلاء بالإنسان وقيمة الفرد حينما يبلغ من الصلاح والكمال البشري والإنساني القدر الذي يجعله يخلف أثراً إيجابياً في تعمير الأرض.

1- مفهوم الإنسان الكامل في الفكر اليوناني:

1-1: علاقة نظام دولة المدينة بمفهوم الإنسان الكامل:

تميز نظام دولة المدينة (Polis) □ó□□□ بطابع خاص ومتفرد بين كل الكيانات السياسية السائدة في العالم القديم. والواقع أن نظام دولة المدينة لم يكن نظاماً سياسياً فحسب وإنما كان نظاماً جغرافياً وسياسياً وحضارياً واجتماعياً متفرداً ومميزاً لكافة دويلات المدن اليونانية حيث أفرز هذا النظام لدى المواطنين شعوراً جمعياً بالتفرد والتميز دون الأجناس الأخرى نظراً لما حققه من نهضة في مرحلة مهمة من تاريخه. لقد بلغ هذا النظام من الأثر حداً جعله يؤثر في التكوين الفكري لمفكرين وفنانين هذا المجتمع. وكان هو الباعث الأول لديهم في تبني بعض مفكري هذا المجتمع الدعوة إلى مفهوم الإنسان الكامل وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو. وكان لهذا الكيان السياسي أيضاً أثر كبير في ظهور ما يُعرف بعبادة أشباه الآلهة والأبطال وتقديسهم(Currie,2010).

1-2: الإنسان الكامل عند أفلاطون:.

يستطيع القارىء لمحاورات أفلاطون أن يلمح نزوعاً نحو الكمال في كل ما يتبناه من أفكار ومبادئ، حيث نجد أن أفلاطون خلال الموضوعات التي يطرحها عبر محاوراته يتخذ منهجاً

محدداً فإما أن يرد كل الأشياء للإله وحده ὁ θεὸς أو يفسرها وفقاً لنظريته الخاصة حول المثل□□□ἰ□□ὰ□ أو يتبنى الفكر اليوتوبي الذي يرسخ لمجتمع فاضل وكامل. فعلى سبيل المثال حينما يرد أفلاطون كل شيء للإله يجعل المعرفة ἡ□ ἐπιστήμη □مصدرها الإله، فالعارف لدى أفلاطون هو عارف بالله أو بمعنى آخر هو حاصل على معرفته من خلال اتصاله بالإله وأبرز مثال على ذلك سقراط معلمه واستاذه والشخصية الرئيسية في جميع محاوراته والذي كان يستمد معرفته من وحي أو صوت φωνή من الإله (Plato, Apology,12a)، كذلك نجد أن أفلاطون يرجع أسمى نماذج الفن التي تحقق معنى المثالية والكمال إلى الإلهام ἔνθεος الصادر عن الإله(Plato,Ion,534d). ومن خلال نظرية المثل يجعل أفلاطون المثال هو مبدأ الحقيقة في الأشياء ولا يطرأ عليه تغيير ولا يتأثر بالكثرة، هكذا ميز أفلاطون بين المثل وأشباه المثل وجعل لكل شيء مثالاً يسميه الشيء بالذات، وتشمل هذه النظرية الأجسام المادية والمعاني العامة أيضاً مثل الخير والحق والجمال(كيلاني،2013). وأما عن الفكر اليوتوبي الذي يرسخ من خلاله للمجتمع الفاضل فنجده يتبنى مجموعة من الأفكار والمبادئ السياسية غير المألوفة التي يؤسس عليها هذا المجتمع كفكرة الحاكم الفيلسوف ومبدأ التخصص ومبدأ شيوع النساء والأطفال ونظريته الخاصة في التربية والتعليم والتي يطرحها من خلال محاورة "الجمهورية" بشكل أساسي. ولكن لمن يصيغ أفلاطون مثل هذه النظريات؟ هل للعامة أم للخاصة من البشر؟ هل للمواطن الأثيني أم لمواطن العالم بصرف النظر عن عرقه وجنسه؟ إن الإجابة بلا شك حول تلك التساؤلات هي أن أفلاطون يطرح جميع هذه النظريات من أجل الإنسان الكامل، وهو لا يعني وجود هذا الإنسان الكامل على أرض الواقع بل إن الأقرب لذلك هو أن جميع هذه النظريات تنشد الوصول لهذا المفهوم، لأنه لو كان المجتمع الذي عاش فيه أفلاطون قائماً على هذا النوع من البشر الحاصل في ذاته على الكمال والفضيلة لأصبح هذا المجتمع في غير حاجة لتلك النظريات، إذن فماهي مواصفات الإنسان الكامل عند أفلاطون؟

عندما نتحدث عن مفهوم الإنسان الكامل لدى أفلاطون يتعين الوقوف عند مقدمات محددة يمكن أن نتوصل من خلالها لهذا المفهوم بشكل أساسي من خلال محاورات "الجمهورية" و"رجل الدولة" و"القوانين"(Schofield, 2006)، لكن أول ما يثير الإنتباه هنا هو التساؤل عن طبيعة النظام الذي سيفرز هذا النوع من البشر ولا نقصد هنا النظام السياسي الحاكم بل النظام الطبيعي الفطري الذي سيترتب عليه إنجاب أطفال يكونون نواةً حقيقيةً للإنسان الكامل ألا وهو نظام الزواج، فهل صرح أفلاطون بالزواج؟ وهل وضع نظاماً وآلية محددة لمثل هذا النظام؟ إن الإجابة على هذه التساؤلات هو أمر بالغ الأهمية نظراً لما ينطوي عليه مفهوم الزواج من قدر من التداخل أو التأرجح بين الرفض غير المباشر والتأييد غير الصريح عند أفلاطون،

وتتمثل شواهد رفض مثل تلك الرابطة الإجتماعية في دعوة أفلاطون لمبدأ شيوع النساء والأطفال في"الجمهورية"، بينما نجد مظاهر التأييد في"القوانين" متمثلة في الضوابط الصارمة والمفصلة التي تتعلق بالزواج. فهل يمكن اعتبار ذلك تناقضاً أم تحولاً في فكر أفلاطون حول هذا الأمر؟

كانت "الجمهورية" باكورة تأليف أفلاطون في مجال السياسة يليها بعد ذلك محاورتي "رجل الدولة" و"القوانين". وقد طرح أفلاطون من خلالها عدداً من الأفكار والمبادئ تعكس قدراً كبيراً من المثالية والحماسة المفرطة في تنظيره السياسي مما يصعب معها تطبيق مثل هذه المبادئ على أرض الواقع، بينما جاءت "القوانين" في مرحلة متأخرة بلغ فيها أفلاطون من النضج ما جعله يبدو مشرعاً أكثر منه فيلسوفاً وهو ما تعكسه المحاورة ليس فقط من خلال القوانين التي يطرحها أفلاطون من خلالها بل من خلال أسلوبها الجاف أيضاً. والتحول أو التطور هنا أمر طبيعي جعل أفلاطون ينسحب من عدة مبادئ سبق وأن تبناها في "الجمهورية" في مرحلة سابقة من حياته، خاصة إذا ما وضعنا في الإعتبار ما آلت إليه زيارته إلى صقلية ومحاولته إقناع صديقه الملك ديونيسوس بتبني تطبيق هذه المبادئ في دولته. أما محاورة "القوانين" فهي يويتوبيا أيضاً لكن من نوع جديد يتمثل في شمولية قوانينها. وبذلك فإن قول أفلاطون بشيوع النساء والأطفال ثم طرحه لقوانين تنظم الزواج وتجعله مبدأً أساسياً من مبادئ الحياة الإجتماعية داخل الدولة لا يُعد تناقضاً بل تطوراً وتحولاً منطقياً وطبيعياً في فكر أفلاطون.

يتبنى أفلاطون في محاورة "الجمهورية" المبدأ القائل بأنه: "يتعين أن تكون النساء ملكاً مشاعاً بين الرجال" (Plato, Republic,V,457c)، وحينما يناقش الخطوط التنفيذية لتطبيق هذا القانون والذي يتبعه بطبيعة الحال فكرة شيوع الأطفال أو الأبناء (Plato,Republic,V,457d)يكشف أفلاطون عن الهدف الأسمى المنشود من هذه الفكرة ألا وهو الوصول إلى الإنسان الكامل، حيث يعهد أفلاطون إلى الحكام وحدهم بتنفيذ هذا النظام بطريقة شديدة الصرامة، فيعملون على تزاوج أفضل الرجال ἄριστοι بأفضل النساء ἄρισται على أوسع نطاق ويحدون من تزاوج النوع الأدنى من الجنسين وأن يتم تربية أبناء النوع الرفيع فقط دون النوع الآخر من أجل سلالة أفضل وعلى الحكام وحدهم أن يدركوا سر هذا الإجراء حتى يتجنبوا أي خلاف داخل قطيع الحراس. ولا يرى أفلاطون أي غضاضة في اللجوء إلى الكذب والخداع من أجل تحقيق هذا النوع من التزاوج فالكذب في هذه الحالة أشبه بالدواء□□□□□□□□ النافع للمواطنين(Plato,Republic,V,459c-e □. لقد سبق أفلاطون علماء الفسيولوجيا في فهم الدور الذي تلعبه الموروثات أو□الجينات داخل جسم

الإنسان وما يترتب على اختلاط تلك الجينات وفقاً للتزاوج من جينات مخلطة جديدة تتمثل في الأبناء، فإذا كان الزوج والزوجة من الأصحاء ممن وصفهم أفلاطون بالنوع الرفيع من الجنسين فسوف يخلق هذا التزاوج جيلاً سليماً من الناحية البدنية والعقلية. كذلك يرى أفلاطون أن هذا التزاوج سيخضع لضوابط أخرى تتعلق بعدد السكان الذي لابد أن يظل ثابتاً مع حساب ما تستتبعه الحروب والأمراض من خسائر بشرية بحيث يظل تعداد سكان الدولة مناسباً(Plato,Republic,V,460a). ويحدد أفلاطون أفضل سن للتزاوج والإنجاب بالنسبة للرجل والمرأة فيمكن للمرأة أن تنجب أبناءًا للدولة منذ العشرين وحتى الأربعين، بينما يرى أن أفضل سن بالنسبة للرجل يتراوح ما بين الثلاثين وحتى الخامسة والخمسين، ومخالفة هذه الضوابط تعني أن يأتي الرجال والنساء للدولة بأطفال لم يقترن مولدهم ببركات القرابين والصلوات التي يقوم بها الكهنة فهذا يُعد إثماً وخطيئةً ἁμάρτημα (Plato,Republic,V,461,a). ويعهد أفلاطون بتربية أطفال النوع الأفضل من الجنسين إلى هيئة ستتولى شئون تربيتهم على أن يقطن هؤلاء الأطفال في جزء معين من المدينة بعيداً تماماً عن الأطفال الذين هم نتاج لزواج النوع الأدنى من الرجال والنساء ممن يُخلقون بعيوب جسدية وتشوهات خلقية حيث ستقوم الدولة بنبذ هذا النوع من الأطفال في العراء في مكان بعيد وعلى الحكام أن يعنوا بتغذية الأطفال تغذية سليمة ولابد من تحديد الأوقات التي تقوم فيها الأمهات بإرضاع الأطفال دون أن يتعرفوا على أطفالهم(Plato,Republic,V,459d-e). إن محاورة "الجمهورية" تناقش فكرة المجتمع الكامل المعتمد في وجوده وتكوينه على الإنسان الكامل فكمال الدولة وكمال الفرد مبدآن يتحدان ويقترنان في وجودهما معاً في تناغم شديد.

وفي محاورة "رجل الدولة" يعالج أفلاطون قضية التزاوج وإنجاب الأبناء بأن يجعل وظيفة رجل الدولة الأساسية هي توحيد ودمج التوجهات المتعارضة معاً في سبيل خلق جيل أفضل. لذلك يستبعد أفلاطون مبدأ الشبيه يدرك الشبيه، فقد اعتاد الناس على التزاوج بمن هم على شاكلتهم أو أشباههم προσόμοιοι بينما يرفضون الإقتران بمن يختلفون عنهم ἀνόμοιοιوهذا ما يرفضه أفلاطون ويعهد إلى رجل الدولة بمنع الزواج بين أفراد يتسمون بنفس الطبائع وعليه أن يقوم بالدمج συμπλοκή بين المعتدلين أكثر من اللازم σώφρονες والشجعان أكثر من اللازم ἀνδρεῖοι تجنباً لخلق جيل يتسم بالعنف والغطرسة والوحشية أو جيل يتسم بالجبن والخنوع. وعلى هذا النحو يكون الدمج بين الشجاعة والإعتدال هو أساس بيولوجي لعملية المزج أو الدمج الإلهية (كيلاني،2013). يقول سقراط: " إن(هذا التزواج) يربط الجزء الخالد في نفوسهم برباط إلهي أولاً، ثم بعد ذلك يربط الجزء المادي برباط بشري" πρῶτον μὲν κατὰ τὸ συγγενὲς τὸ ἀειγενὲς ὂν τῆς ψυχῆς αὐτῶν μέρος θείῳ συναρμοσαμένη δεσμῷ, μετὰ δὲ τὸ

(Plato, Statesman, θεῖον τὸ ζῳογενὲς αὐτῶν αὖθις ἀνθρωπίνοις .309c)

وفي محاورة "القوانين" يستهل أفلاطون حديثه عن الزواج بقوله على لسان الأثيني: "أليس الزواج هو النقطة المحورية في خلق الأجيال من أجل الدولة؟ وهو ما يعكس نوايا أفلاطون الدفينة في تقديس هذه العلاقة الإجتماعية المقدسة والدليل على ذلك أنه استطرد قائلاً: إن قوانين الزواج هي الأولى بسن التشريعات لأن ذلك هو المسار السليم للدولة بأسرها(Plato,Laws,V,721). ويبدأ أفلاطون هذه التشريعات بتحديد أفضل سن للرجل من أجل الزواج والذي يحدده بالثلاثين ولا يجب أن يزيد عن الخامسة والثلاثين، وتجنباً للفوارق والإختلافات الفكرية والطبقية التي قد تكون دافعاً من وراء زواج رجل بإمرأة يضع أفلاطون قاعدة عامة لهذا الزواج تنص صراحة على أنه على كل رجل أن يسعى للزواج من أجل خير الدولة ونفعها وليس على النحو الذي يرضي به نفسه ورغباتها(Plato,Laws,VI,773). أما عن أطفال مثل هذه الزيجات فيضع أفلاطون عدداً من التشريعات والضوابط شديدة الصرامة من أجل إنجاب أطفال أصحاء للدولة، حيث يمنع أفلاطون الأب من شرب الخمر لأن شرب الخمر يضعف من ماء الرجل σπείρειν كماً وكيفاً وهو ما سيترتب عليه إنجاب جيل ضعيف غير سليم من الناحية البدنية والنفسية والشخصية، لذلك يتعين على كل إنسان أن يتجنب أي سلوك أو فعل ينتقل إلى الأطفال وفقاً للعوامل الوراثية(Plato,Laws,VI,775). وجدير بالذكر أن هناك بعض الدراسات الطبية الحديثة التي اثبتت مدى التأثير السلبي للإفراط في تناول الخمر والكحول على الحيوانات المنوية عند الرجل حيث يؤدي تناول الخمر إلى ضعف انتاج الحيوانات المنوية عند الرجل كما يؤثر سلباً على هرمونات الذكورة ويؤدي إلى العجز الجنسي بالنسبة للرجل(مرسي،2018)، كما تعتبر مادة الأمونياك الموجودة في الكحول من العناصر السامة التي تؤدي إلى بطئ حركة الحيوانات المنوية وإبادتها(علامة،2016).

على هذا النحو يمكن أن نتعرف على تصور أفلاطون الخاص للإنسان الكامل، فهو بداية يضع شروطاً محددة تتعلق بإقتران الرجل بالمرأة لأنجاب الأبناء والتي يتضح من خلالها أنها لم تلق بالاً لأمر الزواج كرابطة إجتماعية متعارف عليها في المجتمع بل نجده جعل الأمر كله بيد الدولة وحدها ولخير الدولة وحدها أيضاً فالرجال والنساء جنود مجندة لصالح خير الدولة العام وإن كان خير الدولة يحتم إنجاب الأطفال فليكن ذلك بشروط وآليات تحددها الدولة وتعمل على تنفيذها أيضاً على أكمل وجه لذلك لم يجد أفلاطون غضاضة في الدعوة إلى شيوع النساء

والأطفال ولم يجد غضاضة كذلك في القول بأن الزواج هو رابطة إجتماعية مقدسة فليس هناك من تعارض لدى أفلاطون في ذلك فالهدف الأساسي لديه هو الوصول إلى الإنسان الكامل.

1-3: الإنسان الكامل عند أرسطو:

يتناول أرسطو من خلال كتاب "الأخلاق النيقوماخية" وكتاب "الأخلاق الأوديمية" صفات الشخص المتحلى بفضيلة السمو النفسي □□□□□ó□□□□□ تلك الفضيلة التي وصفها بأنها تاج الفضائل□ἀρετῶν□□□□□□έ□□، وبغض النظر عن الانتقادات التي أُثيرت حول هذه الفضيلة فإن ما يهمنا في هذا البحث هو وصف أرسطو للشخص المتحلي بالسمو النفسي، يصف أرسطو الإنسان المتحلي بفضيلة السمو النفسي بأنه ضمن من يستحقون صفة الأفضل بين العظماء μεγίστων ὁ ἄριστος وأنه لابد وأن يكون خيراً أو فاضلاً (كيلاني،2009). وهنا نلاحظ أن أول نقاط الإلتقاء بين مفهوم الإنسان الكامل عند كل من أفلاطون وأرسطو هي أن يكون الأفضلὁ ἄριστος ، وصاحب السمو النفسي هو الأفضل أي هو الإنسان الكامل. وعلى الرغم من أن كلاً من أفلاطون وأرسطو يُطلقان على الإنسان الكامل صفة الأفضل غير أنهما يختلفان في نقطة جوهرية تتمثل في أن أفلاطون ناقش مفهوم الإنسان الكامل وفقاً لمعايير فسيولوجية تتعلق بإقتران الأفضل من الرجال بالأفضل من النساء لإنجاب الأفضل من الأبناء بينما نجد أرسطو يستعرض صفات الإنسان الكامل وفقاً للمعايير الأخلاقية، فقد جعله صاحب فضيلة تُعرف بالسمو النفسي وهي تاج الفضائل جميعاً، وإذا كانت الفضائل تنقسم بحسب المفهوم الأرسطي إلى فضائل عقلية وفضائل أخلاقية فإن فضيلة السمو النفسي تندرج تحت ما يُسميه أرسطو بالفضائل الأخلاقية التي تُكتسب بالتعود والمران والممارسة (Aristotle,Nicomachean Ethics, 1103a14-18). وهذا ما نستدل عليه من مواصفات الإنسان المتحلي بهذه الفضيلة، فماهي صفاته كما حددها أرسطو؟

يصف أرسطو صاحب فضيلة السمو النفسي بأنه إنسان حر يتسم بطبيعته الحماسية الفعالة وروحه الشجاعة(Aristotle, Politics,1388b3-1328a10□□□ή□□□□□ũ□. فضلاً عن أن هذا الإنسان يرى أنه جدير بعظائم الأمور على أن يكون كذلك في الواقع أي ينطبق اعتقاده في نفسه وإيمانه بها مع واقع عظمة روحه وشجاعته (كيلاني،2005). ولأنه يتميز بالشجاعة الحقيقية فإن المتحلي بفضيلة السمو النفسي لا يأبه للمخاطر والتضحيات لأنه غير محب للمغامرة أو المجازفة لندرة الأشياء التي يراها ذات قيمة (Aristotle, Nichomachean Ethics,1124b6-9□□، وهو يؤثر فعل الخير في الآخرين على أن يفعلونه فيه، فضلاً عن أنه يستبعد أي فضل للآخرين عليه لأنه يرى أن مثل هذا الفضل سوف يذكره دائماً بأنه في مكانة أدنى وسوف يشعره بالنقص لمجرد قبوله، كما ينبغي أن يتفق سلوك

هذا الشخص مع ما يتمتع به من صفات فلا يخوض في الحديث ضد أعدائه ولا يُسيء إليهم بالقول أو الفعل ويجب أن يتحلى بالحركة الهادئة والصوت المعبر والثبات في القول، ولا ينبغي أن يكون لديه أي فضول نحو أي شيء أو شخص، ولا يجب أن يكون متهوراً أو مندفعاً أو حاد الصوت(كيلاني،2005). إن فضيلة السمو النفسي μεγαλοψυχία كما رآها أرسطو تخدم تصوره للفضائل التي تقتصر على الأخيار فتمنحهم القدرة وحدهم على الممارسة الفعالة لقوى النفس وهو ما يترتب عليه بالضرورة آداء وإنجاز الأفعال على النحو الأكمل وبطريقة صحيحة تهدف إلى خير ما وهو ما يلخص مفهوم أرسطو حول السعادة εὐδαιμονία(كيلاني،2009)، ففضيلة السمو النفسي تخدم تصور أرسطو لمفهوم السعادة، فهي العنصر الأساسي للوصول إلى السعادة، وعلى الرغم من أن الشخص المتحلي بفضيلة السمو النفسي ليس بفيلسوف إلا أن هذه الصفات تجعله يقترب من الفلاسفة(Crisp,2006).

مما لاشك فيه أن الظرف التاريخي الذي عاصره كل من أفلاطون وأرسطو والذي ساهم في تشكيل نظرياتهم كان له أكبر الأثر في ترسيخ شعور عام لديهم بالتميز والتفرد عن كافة الأجناس والشعوب، وإذا ما نظرنا إلى ما خلفه الإزدهار أكثر مما خلفه الإنهيار، فنجد أن الأثر الحقيقي في تشكيل فكر أفلاطون وأرسطو كان نتاج الإزدهار وليس الإنهيار والتراجع، فالهزيمة الحقيقة في وجدان كل منهما كانت هزيمة هذا الازدهار في الصمود والاستمرار على الدوام. وكان أبرز ما رسخه نظام دولة المدينة في فكر أفلاطون وأرسطو هو مفهوم العبودية التي دعت إلى التمييز بين اليوناني بوصفه الحر وغير اليوناني بوصفه العبد، فقد رأى أفلاطون أنه ينبغي قصر العبودية على الأجانب من غير اليونانيين (Plato, Republic, V,469c)، والعبودية من وجهة نظر أفلاطون تتعلق بالعقل ó الذي يحكم وينظم الأشياء، فالعبيد يفتقرون إلى العقل وكذلك الحال بالنسبة للجماهير العريضة من العامة داخل الدولة تماماً كالعلاقة بين الجسم المادي المجرد من العقل بالنسبة للإنسان أو بالنسبة لكافة المخلوقات المادية في الكون وكل هذه الأشياء غير الحاصلة في ذاتها على العقل والتي ستخلق اللانظام أو الفوضى داخل العالم اليوناني الثابت، وهؤلاء يخضعون للنظام في ظل حكم وسيادة الأفضل وهم الأسياد أو الحراس أو العقل أو الصانع فكل منهم يسيطر ويحكم في مجاله، فالعامل المشترك بالنسبة لمن يتولى السلطة هو أن يكون حاصلاً على العقل وعلى هذا النحو تكون العبودية طبيعية لا غرابة فيها(DuBois, 2008) . بينما رأى أرسطو أن الناس ينقسمون وفقاً لصفاتهم الطبيعية إما ليكونوا حكاماً ἄρχοντες أو محكومين ἀρχόμενος (Aristotle,Politics,1253b) ، بل ذهب أرسطو إلى أبعد من ذلك حين جعل الرق بالنسبة لبعض الناس حتمي ἀναγκαίων ومفيد فضلاً عن أنه

ملائمσομφεροντων(كيلاني،2009). وحينما قال أرسطو بأن البرابرة بطبيعتهم أكثر عبودية من الأغريق وأن الآسيويين أكثر عبودية من الأوربيين (Aristotle, Politics, 1285a20-25) أستطرد بتوضيح ذلك وفقاً لعلاقة سببية تربط بين الجغرافيا والمناخ وبين الصفات الطبيعية التي تؤهل صاحبها ليكون حاكماً أو محكوماً، حيث يرى أن سكان المناطق الباردة وسكان أوروبا يتسمون بالشجاعة ولكنهم يفتقرون إلى الذكاء والدهاء لذلك فإنهم أحرار إلى حد ما، أما سكان آسيا فهم في المقابل يتمتعون بالذكاء والدهاء لكنهم يفتقرون إلى الشجاعة ولذلك فهم يعيشون باستمرار في خضوع وعبودية، أما العرق الهلليني الذي يقطن منطقة متوسطة فإنه يجمع بين الصفتين أي أنه يتمتع بالشجاعة والذكاء على السواء لذلك فإنه يستمر ينعم بحياة الحرية من خلال أفضل المؤسسات السياسية وهو قادر على أن يحكم جميع الشعوب (Aristotle, Politics, 1327b).

1-4:العلاقة بين مفهوم الألوهية والإنسان الكامل:

ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نتساءل عن العلاقة بين مفهوم الألوهية عند كل من أفلاطون وأرسطو والدعوة إلى الإنسان الكامل عند كل منهما. فالإله ὁ□□□□□ حال بلا شك في تصورات هذين الفيلسوفين وفكرهما، وخير دليل على ذلك ما أشار إليه أفلاطون في محاورة "رجل الدولة" من عملية الدمج الإلهية θείῳ συναρμοσαμένη δεσμῷ التي تهدف إلى خلق جيل يتمتع بخصائص وسمات طبيعية مميزة، فالإنسان الكامل على هذا النحو هو نتاج عملية دمج إلهية على حد وصف أفلاطون. ولا يختلف الأمر كثيراً عند أرسطو حيث أن أهم سمات الشخص المتحلي بالسمو النفسي والذي يعني الإنسان الكامل لديه أن يتمتع بالحكمة، والتي تعد من أهم سمات الباحث في الفلسفة الأولى أو العلم الإلهي عند أرسطو، وهي كذلك أعلى العلوم النظرية قاطبة(كيلاني،2009). وعلى هذا النحو فإن الإنسان الكامل إما أن يكون نتاجاً لعملية دمج إلهي أو أن يكون حاصلاً على الحكمة التي تؤهله لمعرفة الإله.

لقد كانت محاولة كل من أفلاطون وأرسطو في البحث عن مفهوم الإنسان الكامل خير دليل على اتساقهما مع المجتمع الذي عاشا فيه. فعلى الرغم من أن أعمال كل منهما تتبنى مبادئ ونظريات لخير الإنسان بصفة عامة إلا أنهما لم يستطيعا الإنسلاخ عن أفكار رسخها المجتمع في وجدانهما وانعكست بطبيعة الحال في فلسفتهما، فالإنسان الكامل كما يتضح من خلال مفهوم كل من أفلاطون وأرسطو هو الإنسان اليوناني المميز الذي عاش في ظل دولة المدينة المتفردة الطابع بين كافة الدول قديماً.

1-5:نماذج تاريخية أخرى للدعوة للإنسان الكامل:

ولعل أبرز ما يؤكد على أهمية الدعوة إلى الإنسان الكامل أن التاريخ الإنساني يشهد نماذجاً عديدة لمفكرين قد تبنوا نفس الدعوة عبر أعمالهم فلم تكن هذه الدعوة قاصرة على أفلاطون وأرسطو فحسب. حيث نجد أن هناك أصداءًا لهذا المفهوم في فكر الفارابي(874م-950م) حينما يتحدث عن صفات الإمام العادل الحكيم والتي تقترب كثيراً من مفهوم الإنسان الكامل عند أفلاطون وأرسطو فهو تام الأعضاء يتمتع بالذكاء والفطنة ورجاحة العقل، كما أنه يتمتع بملكة إجادة الحفظ ويمتلك القدرة على انتقاء العبارات السليمة والفكر السديد، ومن صفاته أيضاً أنه معتدل فيما يتعلق بالمأكل والمشرب والمنكح وحب الصدق وكراهية الكذب وحب الكرامة وكبر النفس أي تقدير الذات وسموها والإنصراف عن أغراض الدنيا ونشر العدل، كما أنه يتمتع بقوة العزيمة والجسارة والإقدام ويجيد الإقناع وفقاً لما لديه من صفات الحكمة والتعقل التام(أبو ريان،1986).

كما نجد أن هناك أنعكاساً لذات المفهوم في الفلسفة الحديثة عند الفيلسوف الألماني نيتشه (1844م-1900م) الذي كان أكثر المفكرين اعجاباً بالتصور الأرسطي لمصطلح السمو النفسيμεγαλοψυχία على الرغم من اختلاف الأسباب التي يمتدح وفقاً لها هذا المصطلح، حيث رأى نيتشه أن الصفة تتفق مع تصوره للإنسان العظيم الكامل المميز لكنه مختلف بطبيعة الحال عما أراده أرسطو حيث يرى نيتشه أن صفة μεγαλοψυχία تعني العظمة والتفوق مما يتطلب النبل والشرف والإرادة في أن يكون صاحبها مميزاً لا يشاركه أحد صفاته بل ويجب أن يحيا بطريقة مستقلة عن الآخرين(Nietzche,1974).

إن أهم ما يخلص إليه هذا القسم من البحث هو أن دعوة أفلاطون وأرسطو إلى "الإنسان الكامل" كانت تهدف إلى الإرتقاء بالمواطن اليوناني إلى المقام الذي يليق به خاصة وأن دعوة كليهما لا تخلو من انحياز عرقي واضح وجلي نتج بطبيعة الحال عن نظام دولة المدينة اليونانية القديم، إنهما ينشدان أن يرتقي المواطن اليوناني إلى أبعد قدر ممكن فإذا لم يكن قادراً على بلوغ مصاف الآلهة كما ورد في الميثولوجيا اليونانية فلا بأس في أن يكون شبيهاً بالإله أو على الأقل أن يرتقي في أن يكون من الأبطال لذلك فإن هذه الدعوة وإن كانت تحمل في طياتها الكثير من الإنحياز نحو العرق الهلليني إلا أنها لا تخلو من محاولة سامية من قبل هذين الفيلسوفين للنهوض بالإنسان وبلوغ حد الكمال البشري وطالما أن هناك نموذجاً يريد أفلاطون وأرسطو أن يصل إليه المواطن اليوناني من بني جلدتهم وطالما أن هذا النموذج أو المثال لن يقل عن شبيه الآلهة أو البطل فمن المؤكد أنه سيزيد عن الإنسان العادي وسيكون على الأقل إنساناً كاملاً.

وقبل أن ننتقل إلي القسم الثاني من هذا البحث والذي سيتناول الإسكندر الأكبر باعتباره نموذجاً للإنسان الكامل يتعين أن نوضح أنه من المؤكد أن بوادر الفكر الأفلاطوني في ترسيخ مفهوم الإنسان الكامل جاءت من خلال مثالية مفرطة ربما لا نستطيع أن نتبين من خلالها تأثر الإسكندر الأكبر بها، فقد وضع أفلاطون جذور التفكير الأولى في مفهوم الإنسان الكامل، أما أرسطو فقد كان أكثر وضوحاً ومباشرة في طرحه لمواصفات الإنسان الكامل، كما كان معلماً للإسكندر في صباه، ومن أجل ذلك سوف يعتمد البحث على المقارنة مع أرسطو أكثر من غيره.

2- الإسكندر الأكبر نموذجاً للإنسان الكامل:.

ولد الإسكندر الأكبر عام 356ق.م وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره تم تنصيبه ملكاً على مقدونيا وذلك لأن والده فيليب المقدوني كان قد خرج في حملة عسكرية في تراقيا آنذاك وذلك في عام 341ق.م. لازم الإسكندر أبيه الملك فيليب المقدوني في عدة حملات وقاد بعض الحملات العسكرية بمفرده ومنها على سبيل المثال حملة الفرسان في معركة خايرونيا وذلك في عام 338ق.م، وعندما تم اغتيال فيليب المقدوني في 336ق.م اعتلى الإسكندر عرش مقدونيا(Arrian,I). ومنذ ذلك التاريخ بدأ الإسكندر حملاته العسكرية في مشرق الأرض ومغربها.

تشبع الإسكندر بالثقافة اليونانية وتأثر بها تأثراً شديداً، ولعل السبب المباشر في ذلك هو تعلمه على يد عدد من أبرز المفكرين والمعلمين اليونانين في عصره ومنهم ليونيداس Leonidas وليسيماخوس Lysimachus ولكن يأتي أرسطو على رأس معلمي الإسكندر وأهمهم على الإطلاق. فقد استدعاه الملك فيليب لتعليم ابنه الأسكندر(Arrian,III). ولا شك أن إشكالية العلاقة بين أرسطو المعلم الأول والإسكندر تفرض نفسها إلى اليوم على الباحثين والدارسين للحضارة اليونانية الذين انقسموا بين مؤيد ومعارض لحقيقة استفادة الإسكندر من تعاليم معلمه أرسطو.

2-1: تقييم بلوتارخوس لشخصية الإسكندر:

يصف بلوتارخوس في كتابه عن الإسكندر صفاته والتي تكشف عن قائد وإنسان يتمتع بقدر كبير من الصفات التي يتحلى بها الإنسان الكامل، وأقصد هنا بطبيعة الحال الكمال البشري الذي لا يتحقق في مرحلة واحدة مؤقتة من حياة الإنسان وإنما لابد وأن يكون ملازماً له في كل مراحل حياته وسنوات عمره، يقول بلوتارخوس: " كان الإسكندر في صباه على الرغم من عنفوانه وإقدامه إلا أنه لم يكن يميل أو ينزع نحو اللذة ἡδονή، فلم تتحكم فيه اللذات بل على

العكس من ذلك كان يتناول اللذات باعتدال كبير σωφροσύνη، فقد كان طموحه سبباً في تكوين شخصية جادة πρᾳότητος وساميةμεγαλόψυχον في صباه وسنوات عمره المقبلة" (Plutarch, Alexander,IV,4) كما كان محباً للعلم φιλόλογος وعاشقاً للإستزادة من المعرفة φιλαναγνώστης.(Plutarch, Alexander,VIII,1)، لقد رأى الإسكندر أن سيطرته وتحكمه في نفسه وفي رغباتها وليس هزيمة الأعداء هي سمة من سمات الملوكτὸ κρατεῖν ἑαυτοῦ βασιλικώτερον ἡγούμενος، (Plutarch, Alexander,XXI,4)، كما كان الإسكندر معتدلاً فيما يتعلق بالمأكل والمشرب متحكماً في شهيته، وكان دائماً يُؤتى إليه بأشهى الفواكة والمأكولات من كافة الأنحاء ولكنه كان يقوم بتوزيعها بين رفاقه حتى لا يتبقى منها شيء لنفسه(Plutarch, Alexander,XXXIII,5)، لقد أظهر الإسكندر اعتدالاً كبيراً فيما يتعلق بلذات الحياة المادية أما فيما يتعلق بشغفه وولعه تجاه المجد والسعي نحو الوصول إليه فقد كان يتمتع بصلابة الروح وسمو النفس الذي يسبق عمره(Green,1991,p.37). لقد تأثر الإسكندر بتعاليم معلمه أرسطو فيما يتعلق بمفهوم الخير الأسمى بالنسبة للإنسان، حيث يكمن الخير الأسمى في الأعمال الصحيحة للنفس ولكن الإسكندر نجح في جعل الخير الأسمى في الممارسة السليمة للنفس والجسد معاً، فقد رأى أنه لكي يصبح ملكاً يجب عليه أن يتغلب على نفسه أولاً وليس أن يتغلب على الآخرين (Plutarch,XXI) كما أنه جعل من جسده خادماً له وليس العكس وهذا ما جعله لا يهتم لأمر أي إمرأة باستثناء أمه حتى زوجاته الإثنتين فكان زواجه منهما بدافع من المصالح السياسية. لقد كانت صورة الإسكندر بالنسبة للعديد من الروايات هي صورة الملك والبطل والإله والمخلص والمنتصر والفيلسوف والعالم والنبي ورجل الدولة وصاحب الرؤية والبصيرة(Roisman,1995).

2-2: تقييم أريانوس لشخصية الإسكندر:

أشار أريانوس إلى سمات الإسكندر الأكبر كقائد بين صفوف جيوشه، ففي وصفه لمعركة جرانيكوسGranicus التي درات عام334 ق.م وهي واحدة من أشهر وأكبر معارك الإسكندر ضد الجيش الفارسي يقول أريانوس إن معركة جرانيكوس هي أول معركة خاضها الإسكندر الأكبر ضد الفرس عند نهر جرانيكوس وقد شعر كل قادة وجنود الإسكندر بالقلق الشديد نتيجة لطبيعة نهر جرانيكوس الوعرة وصعوبة خوض حرب عبره وذكر أريانوس أن جيش الإسكندر في بداية هذه المعركة كان يتحرك ببطء بل إن بعضهم أو أغلبهم كان على وشك الإنسحاب خوفاً من خوض غمار تلك المعركة الخاسرة ولكن الإسكندر في هذه اللحظة غير المشهد تماماً وذلك حينما تقدم جنوده وانطلق بكل شجاعة وإقدام أمام رجاله ليقودهم في

المعركة(Arrian,Anabasis,XV) وهي صورة نموذجية وتقليدية دائماً ما نجدها للبطل الأسطوري الشجاع الذي يتقدم رجاله بخطى سريعة في الحرب تماماً كما هو حال البطل الهومري وخاصة في ملحمة "الإلياذة" حيث يعكس هذا المشهد في الأذهان صورة البطل إخيليوس كما عرفناها في الإلياذة ذلك البطل الأسطوري نصف الإله أو شبيه الإله الذي كان شديد البراعة في فنون الحرب(Saunders,2011).وعلى هذا النحو نرى كيف يُعتبر الإسكندر الأكبر خير نموذج للإنسان الكامل الذي لا يهاب الموت كما يصفه أرسطو. لقد اهتم الإسكندر برجاله وجيوشه فقد كان يشيد بأعمالهم ومجهودهم ويبث فيهم فخر الشعور بما حققوه من انجازات وهو ما خلق ارتباط وثيق بينه وبينهم وتلك سمة من سمات القائد الناجح، ويذكر أريانوس أن الإسكندر كان يقوم بزيارة الجرحى من جنوده وكان يظهر اهتماماً بالغاً بهم حيث يقوم بتفحص إصباتهم وجروحهم ويسألهم كيف تمت إصابتهم أثناء المعركة ويصغى لكل جندي منهم بإهتمام بالغ وهو يروي له كيف تلقى تلك الإصابة أثناء الحرب بل إن الإسكندر كان يحثهم على الفخر بتلك الجروح(Arrian,XVI,5). هكذا يصف لنا أريانوس حال الإسكندر مع جنوده، لقد كان الإسكندر يبث في رجاله عزيمةً وإصراراً لمواجهة الحرب بشجاعة وفخر صانعاً بذلك رباطاً نفسياً بينه وبين جنده وهي صفة تتحقق فقط في القادة الأكفاء. إن هذه الصفات تعكس كثيراً مما تحمله فضيلة السمو النفسي μεγαλοψυχία كما وردت عند أرسطو ألا وهي الإعتداد بالنفس والفخار بخوض الحروب بشجاعة وما شابه ذلك، ويذكرنا هذا بحقيقة الشخص الذي يتمتع بالكمال أو السمو النفسي عند أرسطو حيث يتعين أن يكون بالضرورة حاصلاً على هذه الصفة وهي الإعتداد بالنفس وأن يتصرف في الوقت نفسه وفقاً لما يتحلى به من صفات صاحب فضيلة السمو النفسي. لقد نجح الإسكندر في التعامل بدهاء مع أعدائه فكان يفعل عكس ما يتوقعه خصومه تماما بل إنه أحياناً كان يفعل مالا يتوقعه رجاله أنفسهم، لقد رسم الإسكندر صورةً للقائد الذي كان على استعداد لخسارة أي شيء من أجل جنده ورجاله وكان لا يخش الموت في سبيل تحقيق ذلك، على الرغم من أن وجوده كان كافياً ليلهم رجاله ويبث فيهم حماس الإنطلاق في الحرب بشجاعة، وفي المقابل كان لهذا الحضور الطاغي الأثر الكافي لكي يبث الرعب بين صفوف الأعداء، يرى بلوتارخوس في ذلك أنه من أجل أن يصل القائد لنفس هذه النتائج عليه أن يتحلى بنفس هذه السمات وأن يكون قدوة لجنوده(Saunders,2011).

إن علاقة الإسكندر بجنوده تعكس كثيراً من صفات الإنسان الكامل التي كان يتحلى بها، حيث يصف لنا أريانوس مشهداً آخر من معركة إيسوس Issus التي درات عام 333ق.م بين الإسكندر والملك الفارسي داريوس، ذلك المشهد الذي يعكس علاقة الإسكندر بجنوده أثناء الحرب من خلال المقارنة بين الجيشين، جيش الإسكندر وجيش داريوس، فيقول بأن جيش

الإسكندر كان من الرجال الأحرار الذين يقاتلون بدافع من كرامتهم ورغبتهم في النصر بينما على الجانب الآخر نجد جيش داريوس من المقاتلين الذي يقاتلون مقابل الأجر فليس لديهم دافع أو نزوع نحو إحراز النصر. ويذكر أريانوس كيف كان الإسكندر يبث في رجاله الثقة وحماس القتال فكان يحرص على السير بين صفوف جنوده ويقف أمام كتائب الجيش منادياً بصوت مرتفع اسماء جنوده بشكل لائق ليس فقط أسماء كبار القادة بل ايضاً صغار الجند منهم، كما كان يمتدحهم لأعمالهم الجليلة ويشجع بقية الجيوش والجنود على القيام بأعمال مماثلة لهؤلاء الأبطال والقادة(Arrian,II,X,2)، وهو ما جعل جنوده يحرصون على الانضمام إليه في كافة حملاته العسكرية شرقاً وغرباً. تلك هي الصورة المثالية للقائد الملهم وهو ما اعتبره أريانوس أفضل نموذجاً لقيادة الجيش. تذكرنا هذه الفقرة بإحدى صفات الإنسان الكامل عند أرسطو حيث أنه حر يبذل العطاء دون النظر إلى أي مقابل مادي إلا تحقيق النصر والحرية بينما جيش داريوس يأخذ لأن رجال هذا الجيش لايقاتلون إلا إذا أخذوا المقابل المادي لهذا القتال هكذا يعقد أريانوس المقارنة بين جيش الإسكندر الذي يعطي دون مقابل وجيش داريوس الذي يأخذ مقابل مادي للقتال.

أما عن تناول بلوتارخوس لهذه المعركة فنجد أنه كان أكثر حرصاً على إظهار سمات الإسكندر وسلوكه بعد المعركة تجاه داريوس ومعسكره، حيث يروي بلوتارخوس أن الإسكندر عند وصوله إلى خيمة داريوس وجد بعض أفراد أسرته ومنهم أمه وزوجته وكانت وقتها لم تضع مولودها بعد فضلاً عن إبنتيه وجميعهن قد وقعن في أسر الإسكندر وكن يرتعدن خوفاً منه واعتقدن أن الإسكندر قام بقتل داريوس، ولكن الإسكندر قام بإرسال أحد قادته المقربين إليه ويُدعى ليوناتوس Leonnatus ليبلغهم بأن داريوس لم يُقتل وأنه لا داعي لخوفهم من الإسكندر لأنه شن الحرب على داريوس من أجل الإنتصار عليه، ويذكر بلوتارخوس أن تلك الأميرات قد حصلن على كافة حقوقهن(Plutarch,XXI,2). إن الطريقة التي تعامل بها الإسكندر مع تلك الأسرة الملكية التي وقعت أسيرة له تجعل من الإسكندر حاكماً متسامحاً رؤوفاً، لقد وُصف الإسكندر بالعطف والرحمة وفقاً لما ورد لدى بلوتارخوس حول محاولة داريوس للتفاوض مع الإسكندر لتحرير أسرته وقد رفض الإسكندر تلك المحاولة ودعا داريوس إلى معركة أخرى فاصلة لتحديد المنتصر ولمن ستؤول بلاد فارس، يقول بلوتارخوس أنه حينما سُئل المبعوث للتفاوض مع الإسكندر قال عنه:"إن الإسكندر كان عطوفاً رؤوفاً بعد المعركة بقدر ما كان شديد البأس أثناء المعركة"(Plutarch,XXX,3). إن هذه الصفات مطابقة تماماً للشخص المتحلي بالسمو النفسي والكمال، وتعكس التسامح والعفو عند المقدرة وهي من أخلاق الأنبياء والمصطفين من البشر، ففي الوقت الذي يمارس فيه الإسكندر عزته وإعتداده بنفسه مع خصم وند هو الملك داريوس نجده يمارس أيضاً

التسامح والعفو مع ذويه لأنه لا يعتبرهم أنداداً له أو خصوماً بل هم مجرد أسرى حرب لايجب التعامل معهم إلا بالعفو والتسامح.

لقد كانت صورة الإسكندر الأكبر وفقاً لروايات وقصص كثيرة صورة ملك، بطل، إله، فاتح منتصر، فيلسوف، عالم، نبي، رجل دولة، وصاحب رؤية وبصيرة تلك هي شخصية الإسكندر الأكبر التي فاقت كل التوقعات وتخطت التصورات التقليدية عن القائد المنتصر. وعلى الرغم من انقسام الآراء حول تقييم شخصية الإسكندر بين مؤيد لفكرة أنه البطل الإستثنائي والقائد الملهم وبين معارض لهذه الفكرة إلى الحد الذي جعل البعض يصف الإسكندر بأنه كان متعطشاً للدماء دائما ما يبحث عن المعركة التالية واضعاً نفسه ومن حوله في خطر(Saunders,2011) إلا أن الذين يتحدثون عن تعطش الإسكندر للدماء وانتظاره للمعركة بمجرد انتهائه من المعركة السابقة يجب أن يضعوا في اعتبارهم الغايات السامية التي كان من أجلها الإسكندر يفعل ذلك فهو ينشد الحرية والأخوة ومزج الحضارات وينشد إجمالاً الصالح العام حتى وإن كان ذلك من وجهة نظره بمعنى أنه كان صاحب مشروع كبير ومهم للغاية يستلزم أن يكون شخصاً غير تقليدي في الوصول لأهدافه.

2-3: العلاقة بين تأسيس المدن الجديدة والدعاية للإسكندر الأكبر:

حرص الإسكندر خلال فتوحاته على تأسيس عدد كبير من المدن أطلق عليها جميعاً اسم "الإسكندرية" وأشهرها مدينة الإسكندرية المصرية، ومما لا شك فيه أن المدن المزدهرة الكثيرة التي تقع ما بين البحر الإيجي ونهر دجلة والتي كانت تحتل مكانة استراتيجية أو تجارية أو دينية مهمة كانت تمثل نقطة البداية نحو إكتشاف الإسكندر لمدن أخرى جديدة(Doleac,2015). وقد بلغ عدد تلك المدن سبعين مدينة (Plutarch,I.328e) على الرغم من أن البعض يرى أن هذا العدد مبالغ فيه، وكان الهدف من تأسيس هذا العدد من المدن هو التجارة، ولكن يبدو أن الهدف الأساسي هو الدعاية للإسكندر الأكبر ولأعماله السياسية والعسكرية، كما أنها تعتبر خير وسيلة لتخليد ذكراه وأعماله وتحقيق الشهرة التي ستستمر بهذه الوسيلة لأجيال وسنوات عديدة(Tarn,2003).

2-4: تأليه الإسكندر الأكبر:

ارتبط مفهوم عبادة الملك الإله بتأسيس الإسكندر لعدد كبير من المدن كوسيلة لتحقيق الدعاية السياسية للإسكندر(Doleac,2016)، فمثل تلك الأعمال إنما ترفع من قدر صاحبها إلى مصاف الآلهة أو أنصاف الآلهة ويبدو أنها فكرة كانت راسخة في ذهن الإسكندر الأكبر منذ أن اعتبر أنه ابن الإله آمون، فقد كان هذا الأمر نقطة تحول في فكر الإسكندر ومعتقداته حيث

اعتبر نفسه إبن الإله أو نصف إله. وفي عام 327ق.م حاول الإسكندر أن يفرض بعض التقاليد الآسيوية التي تتعلق بالبلاط الملكي، وذلك بأن يقوم رعيته بالسجود إليه بوصفه الملك المؤله وهذا ما أراده الإسكندر الأكبر لكونه إبن الإله آمون وليس إبن الملك فيليب وقد أظهر الإسكندر إعجابه بالتقاليد الفارسية والآسيوية في ذلك الأمر وقام بإدخال بعض التغيرات في الآداب المتعلقة بالبلاط الملكي تماشياً مع هذا الأمر(Arrian,IV,4.9). وجدير بالذكر أن أوليمبياس زوجة الملك فيليب وأم الإسكندر كان لها دور مهم في ترسيخ هذا الإعتقاد لدى الإسكندر، حيث ارتبط مولد الإسكندر بالرواية التي تقول بأن الملك فيليب رأى ثعباناً إلى جوار زوجته أوليمبياس كان هو الإله زيوس متخفياً في صورة ثعبان(Green,1991). كما يُعتقد أن الإسكندر الأكبر أراد أن تقوم المدن اليونانية بتقديم التكريم الإلهي له بل وأن تعترف تلك المدن به بوصفه الملك الإله وأن يتم إصدار مرسوماً بذلك، ولكن هذا لم يلاق استجابة أو استحساناً لدى تلك المدن فقد تقبل اليونانيون فكرة أن الإسكندر هو الملك البطل الذي ينحدر من نسل البطل هيراكليس إبن الإله زيوس ولكنهم رفضوا فكرة أن يكون الإسكندر هو إبن الإله زيوس (Worthington,2012).

2-5: تصوير الإسكندر الأكبر في الفن:

يعتبر تصوير الإسكندر في الفن من الموضوعات المهمة سواءًا بالنسبة للفنانين المعاصرين للإسكندر مثل ليسيبوس Lysippus (370-300ق.م) الذي كانت أعماله أفضل محاكاة لملامح الإسكندر الحقيقية (Tritle & Waldemar,2009) أو بالنسبة للفنانين فيما بعد. ولا شك أن تصوير الإسكندر قد ساهم إلى حد كبير في التعرف على طبيعة وشخصية هذا القائد بصفة عامة، كما ساعد أيضاً في التعرف على الإسكندر الأكبر كنموذج للإنسان الكامل. وهنا تجد الإشارة إلى مشاهد معينة تخدم موضوع البحث ألا وهو "الإنسان الكامل". فهناك علاقة بين تصوير الإله أو شبيه الإله أو الإنسان الكامل أو البطل وبين الكمال الجسماني والعقلي، وخير مثال على ذلك تصوير الإله أبوللو الذي كان يعبر عن النموذج اليوناني الأمثل للكمال المادي المصور فقد تم تصويره في صورة رياضي مثالي خاصة فيما يتعلق يتعلق بالجري والرماية ويعتبر أبوللون هو أول بطل أوليمبي(Impelluso,2003)، كذلك الحال بالنسبة لتصوير الإسكندر في الفن فنجد الفنانين قد اعتمدوا في تصوير الإسكندر على مشاهد من حياته تعكس مواقف تاريخية حقيقية للإسكندر. وقد قدس الفنانون حياة هذا القائد واعتبروه نموذجاً ملهماً لأعمالهم الفنية، فقد تم تصوير الإسكندر على اللوحات المصنوعة من القماش والتي كانت تُرسم خصيصاً لمنازل النبلاء(Tritle&Heckel,2011). وفيما يلي نستعرض بعض المشاهد لتصوير الإسكندر في الفن وما تعكسه تلك المشاهد من دلالة وأهمية.

2-5-1: تصوير الإسكندر الحاكم العادل:

ومن أبرز تلك المشاهد صورة لأسرة داريوس الإمبراطور الفارسي (Levey,1964) ويظهر في تلك الصورة الإسكندر وهو مرتدياً زياً أحمر اللون مشيراً بيده إلى هيفايستوس بينما نجد أسرة داريوس تركع أمامه. ويتضح من خلال تلك الصورة كيف تعامل الإسكندر مع أسرة الإمبراطور داريوس وهم أسرى حيث يوضح لنا التاريخ كيف أحسن إليهم وعاملهم بعزة وتكريم وذلك بعد معركة إيسوس الشهيرة، شكل رقم (1).

شكل رقم (1) (Levey,1964)

2-5-2: تصوير الإسكندر الشجاع المقدام:

وهناك صور أخرى تعكس كيف كان الإسكندر الأكبر خير مثال على السمو النفسي والشجاعة والإنسانية البالغة(Impelluso,2003). ومنها على سبيل المثال صورة وهو يروض الفرس الجامح بوسيفالوس Bucephalus الذي لم يستطع أي شخص آخر أن يسيطر عليه. وفي هذا المشهد تم تصوير الإسكندر وهو يرتدي زي المحارب ويقوم بتوجيه الفرس تجاه الشمس ولكن يتضح له أن ذلك الفرس العنيد يهاب ظل الإسكندر، شكل رقم (2).

شكل رقم (2) (Impelluso,2003)

2-5-3: الإسكندر وعقدة جورديون:

ومن أبرز المشاهد التي تصور أعمال الإسكندر تلك اللوحات التي تتناول عقدة جورديون Gordian Knot الأسطورية التي قام بربطها ملك فريجيا حول عربته والتي لم يستطع أي شخص أن يقوم بحلها. وعندما قام الإسكندر الأكبر بزيارة جورديوم Gordium في فريجيا Phrygia علم بالنبوءة التي تقول بأن من يقوم بفك عقدة جورديوم سيحكم العالم بأسرة فقام الإسكندر بقطع تلك العقدة بسيفه(Brantly,2012). ويعتبر هذا أحد أبرز المشاهد التي تم تصوير الإسكندر خلالها، شكل رقم (3).

شكل رقم (3) (Brantly,2012)

2-5-4: الإسكندر ذو القرنين:

ومن الأساليب الشائعة في الفن تصوير الإسكندر بقرنين، كما كان هو الحال بالنسبة لتصوير الإله آمون، وكان هذا تصويراً شائعاً أيضاً للملوك الفراعنة (Fletcher&Fildes,2004). ويرجع ارتباط الإسكندر بالإله آمون إلى النبوءات التي قالت بأنه إبن الإله آمون، فضلاً عن زيارته لمعبد آمون في سيوة وهو الحدث الذي كان يمثل أهمية كبرى بالنسبة للإسكندر حيث ارتبط هذا القائد بنبواءات ووحي الإله آمون (Arrian,III,4) شكل رقم(4)

شكل رقم (4) (Fletcher&Fildes,2004)

2-5-5: التصوير البطولي للإسكندر:

ارتبط تصوير الإسكندر ببعض أبرز الأبطال في الأساطير اليونانية وهم أخيليوس وهيراكليس. فقد حاول الإسكندر أن يستلهم أعمال هؤلاء الأبطال الخارقين في حياته تخليداً لذكراه وتمجيداً لأعماله على غرار هؤلاء الأبطال. ويذكر أريانوس أن الإسكندر الأكبر كان يعتبر إخيليوس نداً له منذ شبابه (Arrian,VII)، وقد اعتبره البعض "أخيليوس الجديد" (Fox,2006). أما عن هيراكليس البطل الأسطوري الأشهر ونصف الإله فيرجع ارتباط الإسكندر به إلى القول بأن الإسكندر ينحدر من أسرة كارانوس Karanos أحد أحفاد هيراكليس وقد تم تصوير الإسكندر في صورة فارس يرتدي خوذة على شكل رأس أسد وهو تصوير يعكس الجانب البطولي في حياة الإسكندر شكل رقم (5).

شكل رقم (5)(Fox,2006) .

خلاصة البحث:

أولاً: اهتم المفكرون اليونانيون بالبحث في طبيعة الإنسان الكامل منذ أقدم العصور وذلك تأسياً بالصفات السامية التي ألفها الإغريق في الآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال وذلك في محاولة لبناء إنسان متميز متسامٍ وكامل يرقى إلى أن يوضع في مقارنة مع الآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال. وعلى هذا النحو يمكن القول بأن الإغريق كان لهم السبق في البحث في هذا المفهوم وكذلك كان لهم السبق في تجسيده في الفن.

ثانياً: يُلاحظ أن أرسطو على وجه الخصوص قد خصص بحثاً مطولاً في كتاب "الأخلاق النيقوماخية" عن الإنسان الكامل الذي وصفه بصاحب السمو النفسي - □□□□□□□□□□□□ ووضع بذلك فضيلة خامسة إلى مجموع الفضائل الأربع الرئيسة عند الإغريق وهي العدالة والشجاعة والحكمة والإعتدال فاعتبر أن □□□□□□□□□□□□□ هي تاج الفضائل جميعاً، فلا يغيب عن الأذهان أن المصطلح يشير إلى ذلك الشخص الذي يتحلى بعظمة النفس وهو ما تدل عليه الكلمتان التي يتألف منهما

المصطلح وهما □□□□□□ بمعنى عظيم و□□□□ بمعنى النفس. لقد كان أرسطو ينشد من كل ذلك إنساناً إغريقياً كاملاً ونموذجاً يحتذى به بين كافة الأمم.

ثالثاً:. من خلال مطابقة مواصفات الإنسان الكامل كما رسمها المفكرون الإغريق بسمات شخصية الإسكندر الأكبر يمكن اعتبار الإسكندر الأكبر نموذجاً للإنسان الكامل لاسيما وأن الإسكندر كان متشبعاً بالثقافة الإغريقية وعاشقاً لها بل إن هذه الثقافة هي التي جعلته متطلعاً للعلم والمعرفة شغوفاً بالاستزادة منها كما وصفه المؤرخون. ومما يؤكد على ذلك محاولات الفنانيين لرسم صورة إستثنائية للإسكندر الأكبر من خلال أعمالهم الفنية عبر العصور. حيث تجسد تلك الأعمال الفنية جوانباً من شخصية الإسكندر تثبت إنتمائه للأبطال وأنصاف الآلهة والآلهة أيضاً، فضلاً عن أن تلك الأعمال الفنية تعكس كافة صفات الشجاعة والسمو النفسي والبطولة التي تمتع بها الإسكندر والتي تؤكد أنه خير نموذج شهده التاريخ القديم للإنسان الكامل.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

Aristotle, (1947) Nichomachean Ethics,Text and Commentary by J.Burnet, London, 1900, and Text with Translation and Commentary by Green Wood, Cambridge,1909, and Text With Translation by H.Rackham, Loeb Classical Library.
Aristotle, (1995) Politics, ed.and tr. by Stephen Halliwell, William Hamilton Fyfe, W. Rhys Roberts, Doreen C. Innes, Harvard University Press.
Arrian, (1967), Anabasis of Alexander, in Arrian History of Alexander and Indica. Vol. 1.
Translated by E. Iliff Robson, (Cambridge: Harvard University Press.
Arrian, (1967), Anabasis of Alexander, in Arrian History of Alexander and Indica. Vol. 2.
Translated by E. Iliff Robson, (Cambridge: Harvard University Press.
Plato, (1946), Apology, English translation of all The Dialogues by B.Jwett,1871, New edition at New York.
Plato, (1946), Ion, English translation of all The Dialogues by B.Jwett,1871, New edition at New York.
Plato, (1946), Laws, English translation of all The Dialogues by B.Jwett,1871, New edition at New York.

Plato, (1930), Republic, tr. by Paul Shorey, Loeb Classical Library, Harvard University Press.
Plato, (1929) Statesman, tr. by R. G. Bury, Loeb Classical Library, Harvard University Press.
Plutarch, (1967), Plutarch's Lives VII: Alexander, IV, Translated by Bernadotte Perrin
(Cambridge: Harvard University Press).

ثانياً: قائمة المراجع والدوريات العربية والأجنبية:

Brantley,T.C, (2012), Cutting the Religious Gordian Knots, Outskirts Press.
Currie,B., (2010), Pindar and the Cult of Heroes, OUP Oxford Press.
Doleac, M., (2015), In the Footsteps of Alexander: The Soldiers Who Conquered the Ancient World, Amber Books Ltd.
Doleac, M., (2016), Alexander the Great: Conquerors and Combatants, Cavendish Square Publishing,LLC.
DuBois,P., (2008), Slaves and Other Objects, University Of Chicago Press.
Fletcher,J.,& Fildes,A., (2004), Alexander the Great: Son of the Gods, Getty Publications.
Fox,R.L, (2006), Alexander The Great, Penguin UK Press.
Green,P., (1991), Alexander of Macedon,356-323B.C.: A Historical Biography (rev.ed.) Berkeley and Los Angeles: University of California Press.
Impelluso,L., (2003), Gods and Heroes In Art, Getty Publications.
Levey,M., (1964), Royal collection trust: The Later Italian Pictures in the Collection of Her Majesty The Queen, Cambridge – ML 649, https://www.rct.uk/collection/404768/the-family-of-darius-before-alexander
Nietzche,F.,(1974), The Will To Power, Tr. By. Kaufmann, W.,New York Vintage Books.
Roger C., (2006) “Aristotle on Greatness of Soul” The Blackwell Guide to Aristotle's Nicomachean Ethics. Ed.by Richard Kraut,Blackwell, pp. 158—178.
Roisman,J., (1995), Alexander The Great: Ancient and Modern Prespectives, Lexington,MA:D.C.Health.3.
Saunders, J., (2011) “Alexander The Great: A Lesson Taught by Roman Historians”, Western Oregon University.
Schofield, M., (2006), Plato: Political Thought, OUP Oxford.

Tarn. W.W., (2003), Alexander the Great, Vol.2, Sources and Studies, Cambridge University Press.
Tritle,L.A,Heckel,W., (2011), Alexander the Great: A New History, John Wiley & Sons.
Worthington,I, (2012), Alexander the Great: A Reader, Routledge.

أبو ريان،محمد على، (1986)، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام- المقدمات العامة-الفرق الإسلامية وعلم الكلام- الفلسفة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
الهمدان، حاتم، (2015)، ذو القرنين النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلم الناس الدين والحضارة، إصدارات إي- كتب-لندن.
علامه، معصومة حسين، (2016)، التغذية وإنجاب الذكور: سلسلة الصحة والحياة، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.
كيلاني، مجدي، (2005) ، "السمو النفسي□□□□□□□□□□□" في كتاب أرسطو "الأخلاق النيقوماخية"، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية،(الكتاب السنوي الخامس)، تحرير:أحمد عتمان.
كيلاني، مجدي، (2013)، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون-دراسة مصدرية-،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية.
كيلاني، مجدي، (2009)، أرسطو،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية.
مرسي، لمياء محمود، (2018) الدليل في الأحياء: أجهزة جسم الإنسان(الجهاز الهضمي-التنفسي-العضلي-النطق-التناسلي)، الناشر: محمد ابراهيم العبسي.

Abstract:

This paper aims at shedding light on one of the most ethical concepts which is “Perfect man or Superman”. Many writers tried to discuss the characteristics of this human. Also many artiest tried to depict the image of this concept in their works. Ancient Greek thought provided us with notable attempts in this matter, for the concept of a god-like, hero or perfect human being closely linked to the civilization of this society. The aim of this study to show that actually what gives this concept a great importance is the attempt to connect between theoretical perception and some realistic and historical characters, and their depiction in art, this is the aim of this study. The study reached to its aim by investigating whether Alexander the

Great is a real model of the perfect man or not. This study will begin by reviewing the theories of the ancient Greek thinkers about the concept of the perfect man, especially Plato and Aristotle, due to the direct impact of these writers on the personality of Alexander the Great, who was affected by Greek culture and was student of one of its most prominent thinkers and philosophers, Aristotle.

Key words: Alexander the Great, perfect man, Thought, Art.